الفصل الرابع

فى شئون الحضارة المعاصرة

١٦٤ ـ تعيب المرأة المعاصرة : تعدد الزواج · لماذا يرخص به الاسلام ؟

● فى تعدد الزوجات : كرامة المرأة :

يقول الله تعالى : « **وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » (١)·

● المجتمعات الحضارية المعاصرة غير الاسلامية ترى قصر الزواج على واحدة · ويمارس الرجال فى الوقت نفسه تعددا فى علاقات الصداقة مع المرأة فى خفاء أو فى علن · وعن علاقات الصداقة العديدة مع المرأة هناك كان للرجل الواحد أولاد شرعيون وآخرون غير شرعيين ، وكانت هناك مسئولية معروفة ومسئوليات أخرى ضائعة عن الأولاد : هذه ، وتلك ·

والمرأة الصديقة التى أنجبت ولدا غير شرعى وفقدت مسئولية أبيه عنه وعن كرامتها تعيش فى دوامة الحياة تائهة وكارهة ، وتشعر فى قرارة نفسها بالخذلان والابتذال وضياع الاحترام من الغير لها ·

ولتفشى العلاقة غير الشرعية بين الرجل المتزوج وامرأة أخرى غير زوجته فى هذه المجتمعات الحضارية المعاصرة غير الاسلامية ·· أسقط الزنا من تشريع بعض هذه المجتمعات ـ كالمجتمع الدانيمركى ـ كسبب من أسباب الطلاق · وقد كان يعتبر السبب الأول بين أسباب الطلاق فى القوانين السائدة فيها ·

ولنمو نسبة الأولاد غير الشرعيين هناك ـ وبالأخص فى المجتمع السويدى ـ نظمت قوانين الأسرة الجديدة وضع الأولاد غير الشرعيين ، وجعلت لهم اعتبارا اجتماعيا مساويا للأولاد الشرعيين ·

---

(١) النساء : ٣ ·

وهكذا : كان ابتذال المرأة وخيبة أملها فى الرجل · وكان تغيير النظرة الى جريمة الزنا ، واعتباره غير موجب للتفريق بين الزوجة وزوجها ·· وكانت زيادة النسبة للأولاد غير الشرعيين زيادة كبيرة : هو نتائج قصر الزواج على واحدة ، مع اباحة تعدد الصداقة لأكثر من واحدة · وهذا بجانب نفاق الرجل المتزوج فى علاقته من صديقاته ، وعدم مبالاته بمستقبلهن أو بمستقبل الأولاد القادمين عن هذه العلاقة ·

ولولا التطور الصناعى وازدهار الاقتصاد القومى الناشىء عنه فى هذه المجتمعات ·· لبرزت هذه المشكلة بوضعها الحالى فى صورة أكبر ، ولكانت لها آثار أعمق فى ضياع هذه المجتمعات وانحدارها ·

● والاسلام عندما يبيح تعدد الزوجات ـ ولكنه لا يوجبه ولا يلزم به ـ فانما يرخص به كحل للقضاء على جريمة الزنا ، وللحيلولة دون الطفولة غير الشرعية ، وللالتزام بالمسئولية الشخصية فى علاقة الرجل بالمرأة · فثلاثة أهداف يبتغيها الاسلام من اباحته تعدد الزوجات ، بدل الزوجة الواحدة مع الخدينات · وهى أهداف تدفع عوامل الانحلال عن المجتمع الاسلامى ، وتكسب له قوة الترابط ووضوح المسئوليات الفردية · وفى قوله تعالى : « **فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » (١) ·· يفيد أن تعدد الزوجات فى اباحته وفى الترخيص به مقيد بالمعدل بين الزوجات · فاذا لم يستطع الزوج أن يعدل بينهن فيجب قصر الزواج على واحدة · ومعنى العدل بين الزوجات عند تعددهن : أن يسوى بينهن فى الاعتبار البشرى ، والوضع الاجتماعى ، ومستوى المعيشة ، والشعور بالمسئولية نحوهن ونحو أولادهن ·

وشتان بين المساواة فى كل هذا عند تعدد الزوجات فى الاسلام ·· وبين وضع الخدينات والخليلات مع الزوجة الواحدة فى عصمة الرجل · فالزوجة تنظر الى الخليلات بازدراء واحتقار · والوضع الاجتماعى هناك أيضا يعتبر هذه الخليلات اللائى يعشن فى ظلام الحياة مع الزوج : مخربات للأسرة ومتطفلات على الرجل · والخليلات من جانبهن ينظرن الى زوجة عشيقهن نظرة حقد وعدم تقدير ·

وواضح اذن : أن فى تعدد الزوجات ـ على نحو ما يبيح الاسلام ـ كرامة للمرأة بينما فى قصر الزواج على واحدة مع اباحة تعدد الصديقات

---

(١) النساء : ٣ ·

كما هو الحال فى المجتمعات الحضارية المعاصرة ابتذال للمرأة وحط من كرامتها ٠

★ ★ ★

١٦٥ - انى طالبة بالمدارس الثانوية اردت أن أكون محتشمة فى ملابسى وغطاء الرأس ، اتباعا لتعاليم الدين ، وعرضت الأمر على أمى فعارضت معارضة شديدة ، بحجة : أن هذا سيظهرنى كبيرة السن ، ويثير سخرية الناس ضدى وتمسكت برأيها ، وابى تردد فى الأمر : مرة معى ومرة مع أمى ٠ وقال لى : ان بنات رجال الدين لا يلبسن كما تريدين أنت ٠ فما الرأى ؟

● كثرة شيوع الخطأ لا يبرر صحته ، كما لا يبرر اتباعه ٠ فشيوع شرب الخمر فى مجتمع لا يدل على أن شربها صواب ويجب اتباعه ٠ بل على العكس : ذيوع شربها دليل على وجود مرض اجتماعى يجب أن يعالج المجتمع منه ٠ وشيوع « الخنفسة » بين المراهقين فى وقت ما لا يدل الا على شيوع روح « اللامبالاة » وعدم الاكتراث بينهم ، أكثر منها دلالة على صحة اتجاههم وصواب مسلكهم ٠

وعلى هذا النحو : ايثار البنت المراهقة أو المرأة الشابة للباس يكشف عن ساقيها وفخذيها ومواضع الفتنة فيها لا يدل على صحة فهمها للحياة وأخذها بأسباب التقدم فيها ٠ وانما يدل على تمكن « غريزة التقليد » منها ٠ فهى تقلد ولو كان فيما تقلده ما يحمل على السخرية منها وابتذالها ٠

● والاحتشام فى الملبس على العكس لا يعرض البنت المراهقة أو المرأة الشابة للسخرية ٠ بل يوفر لها الاحترام ، بجانب ما تتمتع به من خفر وحياء ٠ واذا نهى القرآن الكريم عن التبرج فى قوله : « ٠٠ **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (١) ٠٠ فانه يؤثر للمرأة البعد عن جو الابتذال ، كما يؤثر لها أن تصون كرامتها كأنثى ، لا تعرض نفسها على الرجل كما تعرض السلعة على المشترى ، وانما تدعوه هو يحرص على طلبها كشيىء عزيز ينشده ٠ والتبرج هو أن تعرض المرأة من بدنها ما يغرى الرجل بها ٠

---

(١) الأحزاب : ٣٣ ٠

● وما يجب أن يفعله الانسان لا يتوقف على مجاراة الآخرين لـه فى مباشرته · وانما يتوقف فقط على الاقتناع به · ولو أن كل واحد انتظر فى أدائه ما يجب على فعل الآخرين له ما وقع أداء واجب فى المجتمع · واذن لا عليـك ـ أيتها السائلة ـ فى ان تحتشمى فى ملبسك مهما تبرج غيرك من نظيراتك · بل اصرارك على الاحتشام سيكون عنوانا على استقلال شخصيتك مما يلفت النظر اليك بالاعجاب ، وليس بالسخرية ·

أما معارضة والدتك لاحتشامك فى ملابسك فهى ـ كما تذكرين ـ تخشى أن تكسد سوقك فى الاقبال عليك فى سن الزواج · وخير لك عندئذ أن يقبـل عليك واحد ممن يشعر بمسئوليته فى الحياة ·· من أن تتهافت عليك العشرات ممن لا يعرفون سوى أنانيتهم وأهوائهم ·

والمقياس فى الدين ـ فيما يجب فعله وفيما لا يجب فعله ـ هو كتـاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وليس أولئكم الذين يتحدثون باسمه أو أبناءهم أو بناتهم ·

* * *

١٦٦ ـ انى مدرسة أحببت زميلا مدرسا معى حبا شديدا · وسعينا للزواج وتلاقينا كثيرا · وذهب يخطبنى من أهلى فرفضوا مرارا رغم كل الحاح منه · فماذا أصنع الآن ؟ وقد كان يقبلنى عند اللقـاء حتى صارت القبـلة ضرورة لا غنى لى عنهـا · وكيف أتزوج مع هـذا غيره ؟ وكيف يزول ذنب القبلة واللقاء ؟

● ان السائلة قد تورطت الآن مع زميلها المدرس فى علاقة حب ولقاء ، وتـريد أن تتزوجه اما تلبيـة لنـداء الحب أو القـاء لظل شرعى عـلى هذه العلاقة · والعقبة فى طريق الزواج هو أهلها أو كما يقال : ولى أمرها ·

فهل برفض أهلها أو ولى أمرها يمـكن مـع ذلك أن يتم زواجها شرعا بنفسها ممن تحبـه ؟

وهل لو أمكن أن يتم زواجها شرعا مع رفض ولى أمرها : تكون مستقره فى حياتها النفسية والزوجية ؟

● أما عن السؤال الأول فيجب فى عقد الزواج أمران ضروريان · الأمر الأول اذن المرأة · لما جاء فى الحديث : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر

(أى لا تزوج الثيب حتى يؤخذ أمرها واذنها) ولا تنكح البكر حتى تستاذن · قالوا : يا رسول الله وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت » · الأمر الثانى وجود شاهدى عدل · لحديث جاء فى ذلك : « البغايا اللائى ينكحن انفسهن (أى يزوجن انفسهن) بغير بينة (أى بغير من يشهد على الزواج) · ولذا يعتبر الزواج باطلا من غير شاهدى عدل ·

وأما وجود ولى الأمر فى عقد الزواج فأغلب الفقهاء يرونه ضرورة فى صحة العقد · لما ورد فى حديث : « لا تزوج المرأة المرأة ، ولا تزوج المرأة نفسها » · ولقوله تعالى : « **وانكحوا الأيامى منكم** (١) (أى زوجوا الثيبات من بينكم) » · فاضاف تزويجهن الى الرجال · ولكن الحنفية لا يشترطون وجود الولى مطلقا فى عقد الزواج ، ارتكانا على حديث : « الثيب أحق بنفسها » ·

والواقع أن وجود : الولى أو الأهل ·· والشاهدين فى عقد الزواج ، مع وجود اذن المرأة وأمرها فى الزواج ·· يعتبر تعبيرا واضحا عن القيمة الاجتماعية لهذا العقد ، كما يعتبر دليلا مؤكدا للرضاء من جانب الطرفين فى العقد · واشهار الزوجية عندئذ يكون اشهارا كافيا ·

● وأما عن السؤال الثانى وهو صحة عقد زواج السائلة مع من تحبه من زملائها المدرسين ، من غير رضاء أهلها أو ولى أمرها ـ بناء على الأخذ برأى الحنفية ـ فانها ان انشأت بهذا العقد علاقة قانونية وعاطفية مع انسان جديد عن الأسرة وهو زوجها ·· الا أنها ستفقد علاقتها بأسرتها ولو الى حين · وفى هذا الوقت الذى تكون علاقتها بأسرتها ضعيفة وغير مرضية : تشعر بالقلق النفسى بسبب ضعفها · ولا تسد مسدها اية علاقة أخرى جديدة ، مهما كانت فى بدايتها قوية ·

والأولى للسائلة أن تحاول بلباقة اقناع أهلها بزواجها من زميلها المدرس ·· أو تحاول هى أن تقيم فى هدوء : الأسباب التى يذكرونها لعدم موافقتهم عنه ، لعلها تقتنع نفسيا بصحتها · وعلى أية حال لا تترك للتورط فى علاقتها مع زميلها : أن يأخذ طريقه ، فيحجب رؤية الواقع · لأنها هى التى ستخسر فيما بعد ، لو انكشف هذا الواقع على حقيقته ·

★ ★ ★

---

(١) النور : ٣٢ ·

١٦٧ ـ هل يجوز للفتاة أن تتمنى شخصا معينا تدعو الله أن يكون من نصيبها ؟ وهل يجوز لها أن تحبه ؟

● من سن السابعة عشرة ٠٠ الى سن الخامسة والعشرين ، تكثر أحلام اليقظة عند الشابات ٠ ويساعد على كثرة هذه الأحلام لديهن ـ بجانب تطلعات الشابة الى الزواج فى هذه السن ـ مشاهدة الأفلام السينمائية ، وفيها أبطال السينما فى أدوارهم المختلفة ، ولهم مظاهر الحياة المترفة : يسكنون فى قصور ٠٠ ويركبون السيارات الفخمة ٠٠ ويتنقلون بين المطاعم الشهيرة ٠٠ وأيديهم سخية فى العطاء ٠٠ الى غير ذلك من المظاهر الخادعة ٠ بالاضافة الى استخدام وسائل التمويه فى عرض أنفسهم : فى صور جميلة وأنيقة ٠

وليس هناك حرج اطلاقا من أن تعيش الفتاة فى حياة الأحلام فترة أو فترات ٠ وقد يكون دخولها هذه الحياة : هربا من واقع أليم ، وبذلك يكون علاجا لحالة نفسية مؤقتة عندها ٠

ولكن بتحليل تلك الأحلام ينتهى أمرها ، الى : أن الاستغراق فيها يبعد الفتاة عن واقع الحياة ، كثيرا ، أو قليلا ، حسب طول المدة التى تعيش فيها ٠٠ وربما تسبب لها صدمة نفسية عنيفة ، عندما ينكشف لها خداع الأحلام والأمانى التى تمنتها ، والتى نسجت منها خيوط الحياة للأسرة المقبلة لها ٠ فترى : أن كل شىء قد أصبح ولا واقع له تلمسه بيدها ٠

● على أنه من جانب آخر : اذا ارتبطت الفتاة ـ فى أمانيها وأحلامها ـ بشخص معين ، وأحبته ، وسعت بالدعوات الى الله ، أو بغيرها ، للظفر به ، ماذا تصنع لو لم تظفر به ؟ وماذا يكون وضعها أمام نفسها أولا : اذا سعت بوسيلة لا توفر لها الكرامة ؟ وعلى حساب : من ، ومن حياة : من ، يكون هذا الوقت الذى قد تبدد وذهب فى غير صالحها ؟ ٠ ان ذلك كله من غير شك : خسرها هى ٠ ومن يدريها : أنها لو حصلت عليه فى النهاية تفاجأ مرة أخرى فى حياتها الزوجية : أنه شر من تعاشره امرأة ٠

● والاسلام لا يرى للمرأة : أن تسعى وراء الرجل ، فى الأحلام ، أو فى اليقظة على حد سواء ٠ ويرى على العكس : أن الرجل هو الذى يجب أن يسعى الى المرأة ، ولها الخيار فى قبوله أو فى رفضه ٠ وهناك الخطبة ٠٠ وهناك المهر : كلاهما من الأمارات الدالة على وجوب سعى الرجل الى المرأة ورغبته فيها ٠ واذا كان للمرأة الخيار : فى قبول الرجل ، أو فى رفضه : فهنا شبه ضمان فى عدم خداعها ٠ لأنها ستتبع احساسها الداخلى بالكراهة

أو المحبة : فى رفضه أو فى قبوله ·· كما ستتبع سبيل التروى ومشورة الأهل فيما تقرره نحوه · وهنا كذلك ضمان أكيد لكرامتها · لأنها لم تمتهن بالسعى والجرى وراء شخص خيل اليها أنها تحبه ·· ثم كانت خيبة أملها فى أنها لم تظفر به ، أو كانت ذاتها بما أعطته من كرامتها ·

● أما استجابة الله للدعوات فذلك مرهون : بأن تكون الدعوات مسايرة لما ينصح به · وقد نصح فى علاقة الأسرة المقبلة : أن يكون تكوينها على أساس من سعى الرجل نحو المرأة ، وليس العكس ·

* * *

١٦٨ ـ عاشرت امرأة معاشرة الأزواج ، مع أنها متزوجة ، ولها ثلاثة أطفال · ثم طلقها زوجها ـ أب الأولاد ـ بسببى · والآن لها رغبة فى الزواج منى ، مع أنى متزوج بامرأتين أخريين · فهل اتزوجها حتى يغفر الله لى ؟ أو ماذا افعل ؟

● هل لم تزل عند السائل بقية من الضمير الآن ؟ · هل لم يزل يخشى الله ، ويسأل عن مغفرة الله بعد كل ذلك ؟ : بعد أن حطم أسرة أخرى ففرق بين الزوج وزوجته ·· وبعد أن حرم الأولاد من عطف أمهم ، منذ أن غادرت منزل الزوجية ·· وبعد أن أربك والدهم فى شئونهم ، وجعله فى حيرة وتردد : أيتزوج بأخرى · وربما عندئذ يسيىء الى أولاده ·· أم يمسك عن الزواج وعندئذ ربما لا يستطيع أن يتصرف التصرف المناسب معهم ، ولا التصرف السليم مع نفسه ·

هل يسأل الآن عن مغفرة الله له : أيسأله المغفرة : عن ارتكابه جريمة الزنا حتى عرف شأنها بين الزوج والناس ؟ ·· أم يسأله المغفرة عن خيانة الزوجتين معه فى غيبتهما ؟ ·· أم يسأله عن المصير السيىء الذى صارت اليه الزوجة المحطمة ، وهى ضعيفة الآن أكثر من أى وقت مضى فى حياتها ؟ ·

● وأعتقد من أجل ذلك : أن الأثر الباقى فى نفسه من خشية الله والايمان به ، ضئيل · والمشكلة لديه هى مشكلة اجتماعية ، قبل أن تكون مشكلة الصلة بينه وبين ربه : هى مشكلة الثلاث زوجات ، لو تزوج السيدة المطلقة من زوجها بسبب جريمة الزنا : كيف يعاشرهم ويوفق بينهم ؟ · كيف ينفق عليهم ويدبر مصدر الانفاق ؟ · أو كيف يترك السيدة المطلقة وشأنها فى حال عدم تزوجها ؟ أو أيا من الزوجتين معه يطلقها لتحل الزوجة الجديدة محلها ، اذا لم يستطع أن يحتفظ بثلاث زوجات ؟ ·

أما مشكلة الصلة بينه وبين ربه فلا يسويها : زواجه بالسيدة المطلقة · فهو عاص معصية مضاعفة · والتوبة عن معصيته ليس من السهل قبولها عند الله ، باعلان التوبة ·· والاستغفار له · وان كان ذلك شأن الله سبحانه وتعالى · ولكن عظم الجريمة : يتطلب الطاعة المطلقة منذ الآن : لأوامره ونواهيه ·· كما يتطلب محاولة اصلاح آثار جريمته ، بقدر ما يمكن وهى من الجرائم الكبرى التى تتعلق بحق المجتمع ، قبل أن تتعلق بحق فرد ·· أو فردين ·· أو جملة من الأفراد ، نهى الله عنها فى سورة الاسراء · فنهى عن الزنا بقوله : « **ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة ، وساء سبيلا** » ·· ونهى عن القتل بقوله : « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** » ·· ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل فى قوله : « **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن**» (١) · وفى جعل القرآن الجلد : عقوبة للزنا فى قوله : «**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » (٢)· لم يكن ذلك قسوة منه ـ ولا همجية كما يدعى ـ وانما لآثاره الاجتماعية الشنيعة على المجتمع فى أسره · ولذا تطلب الآية هنا : أن يشهد عذاب الزانى والزانية طائفة من المؤمنين · لأن حق المجتمع تعلق بهذه الجريمة ، ككل · وليست هى جريمة الرجل والمرأة وحدهما ·

* * *

١٦٩ ـ أحببت فتاة وأحبتنى ، ولكن لم نوفق للزواج · وتزوجت هى بغيرى ، وافترقنا · ثم بعد عشرين عاما التقينا وأعدنا الصلة ، بعد ما علمت : أن زوجها توفى ، وهى الآن أرملة وتتقاضى معاشا صغيرا · وعرضت عليها الزواج فرفضت بسبب أولادها وكلام الناس · وقالت لى : أنا واهبة نفسى لك أمام الله ، وهو يعلم أحوالنا · فهل معاشرتها حلال ؟

● ان تعبير الأرملة : بأنها واهبة نفسها لمن أحبته قبل زوجها ، وتحيه الآن بعد وفاة هذا الزوج ·· ليس ايجابا منها بالزواج منه · بدليل أنها رفضت الزواج منه ، عندما عرضه عليها ، كما جاء فى السؤال · وانما هذا التعبير منها كناية عن عدم معارضتها لما يفعله بها ، ولما يطلبه منها ، ولو كان معاشرة جنسية · ولذا يسأل السائل فى سؤاله : أحلال معاشرتها أم حرام ؟ ·

---

(١) الاسراء : ٣٢ ـ ٣٤ ·

(٢) النور : ٢ ·

واذا لم تكن العلاقة بينهما هى علاقة الزوجية ·· فمعاشرتها اذن حرام · وربما يظن : أن رضا الطرفين وموافقتهما على المعاشرة الجنسية ·· يعتبر زواجا عرفيا ·· أى زواجا لم يشهر ولم يوثق · ولكن الزواج العرفى هو الذى لم يقيد فحسب فى الوثائق الرسمية ، واقتصر فيه على صيغة الايجاب والقبول بين الزوجة والزوج : فى حضور الشاهدين · ويعتبر وجود الشاهدين شرط صحة فى عقد الزواج ، سواء : أكان موثقا ، أو غير موثق · وبدون الشاهدين يعتبر العقد باطلا · لأن وجود الشاهدين : ضمان لاعلام الزوجية ، وبالتالى ضمان : لحقوق الزوجين وما ينتج لهما من أولاد ، وأخطار للمجتمع بالعلاقة الأسرية الجديدة · ولذا يروى : « لا نكاح (أى زواج) الا بشهود » ·· كما يروى عن ابن عباس : « لا نكاح الا ببينة » ·

أما زواج الخدان ـ وهو الزواج فى غيبة الشهود ، وبين الرجل والمرأة فحسب ـ فهو زواج السر · ويشبه الزنا · وقد رد عمر بن الخطاب زواجا لم يشهد عليه الا رجل وامرأة ـ بدلا من رجلين ـ واعتبره : نكاح سر ، وقال : لا أجيزه ·

● والتقاليد أو العادات التى تحول دون تنفيذ نظام اسلامى على وجهه الصحيح ·· يجب عدم الاعتداد بها ، فاذا كان الأولاد ينظرون الى زواج والدتهم بعد عشرين عاما مرت عليها من زواج سابق ·· أو اذا كان الجيران ينظرون الى زواج الأرملة من جديد ·· نظرة تقوم على الاستنكار ·· فيجب أن لا تدفع نظرة الاستنكار هذه : الى الوقوع فى عصيان ومخالفة لمنهج الاسلام ·

ان أهم شىء فى الزواج ـ فى نظر الاسلام ـ هو العلانية · لأنه يرتبط به حق المجتمع ، مع ارتباط حق الزوجين به · وان السرية فيه تحوله الى مخادنة ·· وعشرة سرية ممقوتة عند الله والناس معا : « **يستخفون من الناس ، ولا يستخفون من الله وهو معهم** » (١) · ولهذا السائل الذى تمكن حبه من قلب هذه الأرملة : أن يرعى الله فى معاملتها : فاما أن يبتعد عنها كلية ·· أو يعقد عليها فى علانية ، ان كان يراقب الله فى تصرفاته ·

★ ★ ★

---

(١) النساء : ١٠٨ ·

١٧٠ ـ فتى وفتاة اتفقا على الزواج بعد اتمام الدراسة ، ويتقابلان فى مكان عام · والأهل (الطرفين) غير موافقين على الزواج الا بعد الانتهاء من الدراسة · فهل لقاؤهما هذا حلال ؟

● هل اتفاق الفتى والفتاة هنا واتفاق الأهل معهما على الزواج بعد الانتهاء من الدراسة يعنى : الاتفاق على الخطبة الآن ، مع ارجاء عقد الزواج لوقت آخر ، هو الانتهاء من الدراسة ؟ · ان كان ذلك هو المقصود فلا يحل لهما الآن الاختلاء فى مكان عام أو خاص · لأن ذلك خارج عن حدود الخطبة ، وداخل فى نطاق ما يبيحه الزواج ·

● واذا كان اتفاقهما هنا على الزواج ـ والأهل معهما ـ يعنى : أنه قد صدر الايجاب والقبول منهما الآن ، مع تأخير الدخول فى الزيجة الى اتمام الدراسة ·· فلقاؤهما مباح فى أى مكان يلتقيان فيه · لأنهما الآن زوجان ، شرعا ·

● واذا كانت النوايا طيبة وصادقة بين الفتى والفتاة والأهل ، فليس هناك أى مانع أو حرج الآن فى عقد الزواج اذا لم يكن قد عقد · لأن عقده يضفى الشرعية على لقائهما فى المكان العام . ويجنبهما حديث الآخرين عنهما · وما يخشى ـ لو عقد ـ من تكرار اللقاء والحيلولة دون الدراسة الجادة بسببه ، أو التورط فى حادث يريدان تجنبه فى الوقت الحاضر ·· فان لقاءهما الآن فى المكان العام قد يجر الى لقائهما فى مكان خاص ، وربما يجر الى الجنوح والانزلاق الى ما يريدان تجنبه فى كل وقت فى حياتهما ·

والحجة القائمة الآن اذن من أن عقد الزواج سيشغلهما عن الدراسة هى حجة واهية · لأن المعوق عن الدراسة هو التلاقى · والتلاقى واقع بالفعل . وليس هو عقد الزواج ·

● والسبيل القويم فى حياة الشاب والشابة هو التفرغ التام للدراسة ان سلكا طريقها ، دون خطبة ، أو عقد زواج أو الدخول فى زيجة ، أو فى صحبة وصداقة ، أو ما شاكل ذلك : مما يجمع بينهما فى حديث : الأمومة ، والطفولة ، ومستقبل الأسرة ·

ان جو المراهقة ـ وهو جو الشباب ـ ليس جوا باردا · انه قد يلهب بحرارته مستقبل الانسان فيحوله الى ركام أو رماد · ومن الخير أن لا يقدم

للشاب ما يشعله نار أخرى ، حتى يستطيع السيطرة عليه بعقله وقلبه معـا ٠ وهذا الوضع لا يتم الا اذا استقل بنفسه وأصبح ذا قدرة على الانفاق عـلى شريكة معه فى حياته أو مشاركتها فى الانفاق سويا ٠

★★★

١٧١ ـ ما حكم الدين فيما يفعله بعض الشبان من ارتداء ملابس تشبه ملابس النساء ، ومن اطالة شعورهم ، وسوالفهم ؟

● للعرف دخل فى تمييز الرجل عن المرأة ، كما للطبيعة دخل كذلك فى تمييز أحـدهما عن الآخـر ، وأمارات الذكورة والأنوثة بين النوعين ـ مـن طبيعتهما ـ واضحة ٠ فصدر المرأة يختلف عن صدر الرجل ، وصوتها يختلف عن صوته ، ومشيتها تختلف عن مشيته ٠ فمشية المرأة يغلب عليهـا التردد والانعطافات ، بينما مشية الرجل يتحكم فيها الاندفاع والاقدام ٠

والعرف ـ فيما جرى ويجرى عليه ـ سواء فى الملبس أو فى الزينة ، أو فى الكلام يحـاول أن ، ينمى فى المرأة خصـائص الأنوثة ، وفى الرجـل خصائص الرجولة ، حتى ينكشف الفرق بينهما فى جلاء ، وبذلك يقبل احدهما على الآخر فى رغبة اللقاء ، ان لم يكن فى لهفة فيه ٠

تلك سنة الطبيعة بين المرأة والرجل ، وهذا هو العرف كذلك بينهمـا ٠ وهـدف الطبيعة كهدف العـرف ، هو : محاولة ابعـاد الابتذال بين الرجـل والمرأة ، وتوطيد علاقة القبول والمسرة بينهما ، كى يستمر النوع الانسـانى فى بقائه ، وكى تتغلب الأسرة أيضا بالمشاركة بين الرجل والمرأة ، على اجتياز الأزمات والعقبات فى انجاب الطفل وحضانته وفى الظروف السيئة التى قـد تمر بهـا ٠

● ونظرة الاسلام الى العلاقة بين الرجل والمرأة هى نظرة مسـاوقة لطبيعتيهما وما بينهما من اختلاف وفروق ٠ فاذا أحل للمرأة أن تتزين فى حليها بالذهب ، وأن تلبس الحرير وما يشبهه فى رقته ، وأن تصبغ شـعر راسها ، وأن لا تبدى من جسمها الا ما يظهر عادة فى سيرها أو ما يعينها على كشف الطـريق وتفـادى أخطـاره ٠٠ اذا أحل الاسـلام ذلك للمرأة ـ دون الرجل ـ فانه يهدف الى جعل المرأة مقبولة لدى الرجل والى حرصه عـلى اللقاء بها ، بما تبدو فيه من رقة وزينة ٠

والاسلام اذن يحـرص على بقـاء الفـرق بين الأنوثة والذكورة جليـا وواضحا ٠

اذ كلما كان هذا الفرق واضحا بينهما كلما كانت الألفـة والمودة والرغبة فى المعاشرة أمرا مترقبا ٠

● فاذا جاء عرف فى عهد ما وحاول أن يضعف الفرق بين الرجل والمرأة فنصح الرجل بأن يكون على غرار المرأة فى التثنى فى مشيته وحركته ، وفى تقليدها فى الحديث والعواطف ، وفى لبسها وزينتها وحليها ، وفى التخنث والتشبه بها على العموم ٠٠ اذ جاء عرف فى عهد ما وحاول أن يصنع بالرجل ما تصنعه المرأة فى نفسها ولاغراء الرجل بها ، فان هذا العرف يكون محاولة لمسخ رجولة الرجل وتحويله الى أنثى ذات شارب ، يخلو صدرها مما يجعلها ذات عطف وحنان وانفعال ٠ وعندئذ لا يكون رجلا ، كما هو ليس بأنثى فى حقيقة أمره ٠ ولذا يحرم الاسلام أن يتشبه الرجل بالمرأة ، والعكس بالعكس ٠ اذ يروى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء ، ولعن الرجل أن يلبس لبس المرأة ، والمرأة تلبس لبس الرجل » ٠

● وحركات الشباب فى العالم التى تحاول اليوم أن تطيح بالأعـراف والتقاليد السليمة ، وأن تنبذ القانون والأخلاق والدين ، كى تمارس الانطلاق فى كل ما تأتى به فى غير رقابة من شىء ما ، حتى من ضمير ٠٠ هذه الحركات لا تعبر عن منطق الحياة الانسانية ٠ انما هى شذوذ وتعاريج فى خط سير الحياة ، دفع بها طغيان الحياة المادية ، والصراع فيها ، والقلق من الغـد ، ومخاوف الهلاك السريع من أدوات الدمار العاجل التى أتى بها التقدم العـلمى فى الحضارة الصناعية المعاصرة ٠

★ ★ ★

١٧٢ ـ انا فتاة عمرى ثمانية عشر عاما ، وطالبة بمدرسة المعلمات ٠ وقـد عاهدت الله أن لا أحب احدا من الشباب ٠ ولكن علمت من احـدى رفيقاتى : أن قريبا لها يحبنى باخلاص ، وقد أرسل الى خطابا بذلك ، فمال قلبى اليه ، وكدت ابادله الحب الشريف ٠ فهل هذا حرام ؟

● وعد السائلة : بأنها لا تحب أحدا من الشباب ٠٠ هو فى الغـالب نتيجة لأزمة نفسية ، عقب خيبة أمل ٠ وقد يكون هذا الوعد أيضا تعبيرا عـن صراع داخلى فى علاقتها بزميلاتها ٠ ولذلك هو وعد غير عملى وغير واقعى ، لعب فيه التصور والوهم دورا كبيرا ٠٠ أى هو وعد لا طاقة لها على تحقيقه ٠

بدليل : عندما اتصل بها احد الشبان بطريق المكاتبة مال قلبها اليـه ، كما تذكر فى سؤالها ٠

● أما ما تسأل عنه الطالبة هنا من الحرمة ٠ فان كانت تريد أن تذكر : أنها حنثت فى عهدها لله ويمينها به ، بعد ما مال قلبها الى الشاب المراسل ٠٠ فعهدها ويمينها فى الأصل كان على ما لا تستطيعه ٠ فهو كاليمين المعـلق على أمر غير مقدور ٠ وبذلك لا ينعقد من منذ البداية ٠

وان كانت تريد حرمة مبادلة الميل القلبى لمن بدأها باثـارة العواطف ، وربما نافقها فى حديثه عنها ٠٠ فالأمر عندئذ يتعلق بوضعها وبوضعه : هل يستطيعان الزواج قبل أن يحمل ما يسمى بالحب وزر العلاقة بينهما ؟ ٠ هل يستطيع حبيبها الشاب الآن أو فى المسـتقبل القريب : أن يتحمل مسـئولية الأسرة الجديدة منه وممن يسميها حبيبته ؟ أم أن الأمر لا يتجاوز دور المراهقين فى رسم صورة لعشق لا يعرف طريقه الى الواقع ؟ ٠

ان مبادلة الميل القلبى لا يستطيع احـد أن يحكم عليه بالحـرمة الا اذا أصبح طريقا لعبث تتحطم معـه كرامة الشـابة وانوثتها ايضا ، قبل كرامة الشاب ومسئوليته ، ومستقبله ٠

ولكن النصح للسائلة ان تفرغ أولا من رسالتها فى التعليم ، ولا تعرض حياتها لهزة قد لا تحتملها ، قبل أن تباشر مسئوليتها كمربية ، أو زوجة ، وأم ، ورفيقتها التى تتحدث عنها والتى هى واسطة الحب الجديد ، هى شيطانتها ، فى قصد أو فى غير قصد ٠ فلتوفر الوقت ، والجهد الآن الى الدراسة ٠ ولها بعد ذلك فى حياتها امتداد زمنى واسع تستطيع فيه أن تكون زوجة سـعيدة مع من تريده وتميل اليه ٠ فالشباب كثير والحمد لله ، والتكاثر البشرى فى تزايد ٠

* * *

١٧٣ ـ ما المقصـود بالعلم الذى حث عليه الاسـلام ؟ هل العلم بالفقه والتوحيد مثلا ؟ ٠ واذا كان كذلك فما الرأى فى العـلوم الأخـرى من : تاريخ ٠٠ وقانون ٠٠ وفلسفة ٠٠ الخ ؟ ٠ وهل للدارسـين لهذه العـلوم المكانة التى بينتها احاديث الرسـول صـلى الله عليه وسـلم ؟ ٠

● العلم الذى يمتدحه الاسلام : ما يوصل الى الحق وهو الله سبحانه

وتعالى ·· والى الصراط السوى فى السلوك ·· ويعرف الحق عن طـريق كتاب الله فيما ينطق به ·· وعن طـريق كونه فيما يعطيه من دلائل تـدل عليه وحده · ويعرف الصراط السوى فى السلوك عن طريق الهداية الالهية التى جاءت بها رسالة القرآن · اذ تضمنت ما ينهى الله عنه أو ما يندد به ·· وما يأمر به ، أو يرغب فيه · وما ينهى عنه ويندد به هو ظواهر السـلوك المادى الذى يقوم على المبادلة وحـدها · وما يأمر به أو يرغب فيه هو السـلوك الانسانى الذى يقوم على الاعطاء دون الأخذ ·

فاذ يقول الله تعالى : « **كلا بل لا تكرمون اليتيم · ولا تحاضون على طعام المسكين · وتأكلون التراث أكـلا لما · وتحبون المال حبا جما** » (١) ·· فانه يصف سلوك الماديين من عدم الاعطاء فى غير مقابل ·

واذ يقول : « **ويطعمون الطعام على حبه : مسكينا ، ويتيما ، وأسيرا · انما نطعمكم لوجه الله ، لا نريـد منكم جـزاء ولا شـكورا** » (٢) ·· يصف الانسانيين أو الأبرار ·

وما جاء فى القـرآن : تعـريفا بالله سبحانه ·· أو تحـديدا للصراط المستقيم فى السلوك : عكف عليه علماء المسلمين واستخلصوه فى قواعد ·· وأحكام ·· وأدلة ·· ومناهج للدفاع والرد · وتكونت علوم مما استخلصوه من كتاب الله · وأصبح المسلمون يعرفون فيما بينهم : علم الفقه ، وهو علم الأحكام فى العبادات والمعاملات ·· وعلم التفسير ، وهو علم التوضيح لما فى كتاب الله : ان فى جانب اللغة ، أو العقيدة ، أو الشريعة ·· وعلم الكلام أو التوحيد ، وهو علم الرد للشبهات التى توجه من الحاقدين على دين الله ، وخاصة تلك التى قد تتصل بذات الله سبحانه ·· وعلوما أخرى كثيرة · فهذه العلوم الشرعية والعقيدية تبصر الانسان المؤمن : بكتاب الله · وعن طـريق كتاب الله يزداد ايمانه ، كما يزداد استقامة فى سلوكه · وهذه العلوم القرآنية هى علوم الدين ·

● وبجانب كتاب الله للتعرف على الحق وهو المولى سبحانه وتعالى : يوجد هذا الكون الذى نعيش فيه : توجد الأرض ·· والبحار ·· والسماء والكواكب ·· وتوجـد الجبال والسـهول ·· وتوجد الأمطـار ، والأنهار ، والآبار ·· وتوجد الزراعة والأنعـام ·· كما يوجد الحديد والصناعة منه ·· ويوجد الانسان فى خلقه وتركيبه ·

---

(١) الفجر : ١٧ ــ ٢٠ ·

(٢) الانسان : ٨ ــ ٩ ·

والله اذ يطلب عن طريق الرسول عليه السلام الى الناس : أن يؤمنوا بما فى كتاب الله : يطلب اليهم فى الوقت نفسه : أن ينظروا ـ كجزء منه ـ الى ما فى الكون من نظام ·· وتدبير ·· ونعم لا تحصى فمثلا قوله تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين · ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين · ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » (١) ومن النظرة غير المتحيزة الى ما فى هذا الكون : يصل الانسان حتما الى الحق جل جلاله فى وحدته فى الالوهية ·

والنظرة الى ما فى الكون : تتعدد وتتشعب ، حسب تعدد جوانبه · وعن النظرة الى كل جانب والتجربة فيه ان أمكن : ينشأ علم أو جملة من العلوم ، تأخذ أسماء معينة حسب موضوع النظرة ، والبحث ، والتجربة · وهكذا : العلوم الطبيعية ·· والعلوم الانسانية وفيها الفلسفة ، والقانون ، والتاريخ ·· والعلوم الاجتماعية ·· وغيرها : علوم تبحث فى هذا الكون ·· وتنتهى فى بحثها حتما الى الايمان بموجود يحكم التدبير : خلق هذا الكون ، ويمسك نظامه · فاذا لم تنته هذه العلوم اليوم ·· فستنتهى غدا ، أو بعد غد · ومن أجل ذلك علوم الكون متطورة ، وقابلة للتغيير · لأنها لم تنته بعد ·

وهكذا : علوم الكون رافد آخر يوصل الى الايمان بالله · وهكذا : ما جاء فى كتاب الله يوافق ما جاء فى كونه · فان بدا هناك عدم توافق : فذاك يرجع الى الانسان الذى لم يرتفع بعد الى رؤية التوافق بين النوعين · اذ كلاهما مخلوق لله سبحانه : هذا كتابه ·· وذاك كونه ·

وتقديرا لنوعى العلم : علم الدين ·· وعلم الكون : يؤثر عن الرسول عليه السلام قوله فى الأول : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ·· وقوله فى الثانى : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة » ·

★ ★ ★

١٧٤ ـ هل التمدن عقبة فى سبيل الدين ؟

أو الدين عقبة فى سبيل التمدن ؟

● اذا قصد بالتمدن التهذيب والسمو فى السلوك الانسانى · والارتفاع

---

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ ·

عن الانانية الطاغية فى المعاملة فالدين مصـدر هذا التمدن · نقرأ قول الله تعالى على سبيل المثال :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ،

« ولا تلمزوا انفسكم ، ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم : الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب ،

« فاولئك هم الظـالمون ·

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ،
« ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب احدكم أن يأكل لحـم أخيه ميتا فكرهتموه ،

« واتقوا الله ان الله تواب رحيم ·

« يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ،

« ان الله عليم خبير » (١) ·

فهذه الآيات تنادى بتاكيد الاعتبـار الانسـانى لكل فرد ، وبعدم انتهاك حرمته فى حضوره أو فى غيبته على السواء وبمساواة الجميع فى خصائص الطبيعة البشرية ، وبجعل التفاضـل بين الافراد فقط فى مسـتوى التهذيب والسلوك الكريم والاخاء والمحبة ، الذى يعبر عنه هنا بـ « التقوى » ·

وكثيرا من مثل هذه الآيات يوضح مدى السلوك الحسن الكريم ومدى التصرف القائم على الاعتداء وطغيان الانانية وانتهاك حرمات الآخرين ·

● واذ قصد بالتمدن الصناعة والتطور الحضارى المادى والتقـدم التكنيكى فالدين كذلك يحث عليه ويدفع اليه · نقرأ قول القرآن الكريم :

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ،

« وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ،

---

(١) الحجرات : ١١ ـ ١٣ ·

«ان الله قوى عزيز » (١) ٠

٠٠٠ فسوى القرآن فى هذه الآية بين كمال الله والحديد وأثرهما فى حياة الناس ٠

فان كانت الهداية والعدل من نتائج الايمان بكتاب الله فهناك المنافع من استخدام الحديد تنتهى جميعها الى القوة والعزة فى الحياة ٠

والحديد ـ وما يشبهه من معادن ـ مصدر الصناعة وموضوع التطبيق العلمى الهندسى وبناء على ذلك اذا أغفل الانسان كتاب الله أو أغفل الصناعة فى حياته فقد أضعف نفسه وأضعف أمته واذا أغفلهما معا فتلك هى الكارثة التى لا يستطيع التغلب عليها ٠

● وان قصد بالتمدن الانحلال فى الأخلاق والسلوك أو الرفاهية على حساب الآخرين أو التسلط وانتهاك الحرمات الشخصية للآخرين ٠٠٠ أو ما شاكل ذلك مما يؤذى الانسان ويحط من شأن الكرامة البشرية فالدين عندئذ عقبة فى سبيل التمدن ، والتمدن أيضا عقبة فى سبيل الدين ٠

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ٠٠٠ » (٢)

« أفحكم الجاهلية يبغون ،

« ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » ٠ (٣)

★ ★ ★

١٧٥ ـ اثناء الألعاب الرياضية ترتدى البنات « الشورت » وفى هذا كشف لبعض أجسامهن ، فماذا يجب ، هل يتركن الرياضة مع ما فيها من فائدة ، أو ماذا ٠٠ ؟

● أى نوع من الثياب ترتديه البنت الأندونيسية ، أو الهندية ، أو الباكستانية عند ممارستها الألعاب الرياضية وهى فى سن المراهقة ؟ هل ترتدى « الشورت » أم السروال الطويل ٠٠ ؟

---

(١) الحديد : ٢٥ ٠
(٢) المائدة : ٤٩ ٠
(٣) المائدة : ٥٠ ٠

وهل يجب أن تمارس البنت فى سن المراهقة الألعاب الرياضية « بالشورت » على قارعة الطريق العام ، أم يمكن أن تكون ممارستها عندئذ داخل حديقة المدرسة ذات السور البنائى الكثيف المشذب ، ان كانت الحديقة على طريق عام ؟

فاذا كان التقليد الغربى للبنت المسلمة فى سن المراهقة فى ممارسة الرياضة بالشورت ، أمرا ضروريا يدعو اليه النشاط البدنى لها وتنسيق قوامها ، أليس من الأجدر قبل ارتداء الشورت وممارسة بعض الألعاب الرياضية به أن تكون المدرسة لديها بعض العادات فى نظام الأكل والشرب والتغذية بصفة عامة ، مما لو اتبعتها كان لها قوام الهيفاء ، واستمر لها هذا القوام مع نشاط البدن بعد المدرسة أيضا ، وهى عاملة ، أو زوجة ، أو أم الى آخر سن حياتها ·

ان ابن خلدون فى مقدمته يشير الى السبب الذى كان من أجله الفرق واضحا بين الغزال فى ضموره ، وحسن قوامه ، وسرعة حركته ، والماعز فى تكرشه وعدم اغراء منظره فى القوام وبطء حركته ـ مع انهما من فصيلة حيوانية واحدة ـ ويجعل السبب فى نوع الغذاء واختلافه بين الجاف والرطب · وفى كمية الماء التى تدخل معدة كل منهما ·

وبعد ذلك نفترض :

- أن مباشرة الألعاب الرياضية للبنت فى سن المراهقة فى المدرسة أمر ضرورى ،
- وأن « الشورت » ضرورة حتمية كذلك لممارسة هذا النشاط الرياضى ،
- وأن الهواء الطلق والعراء فى ممارسة هذا النشاط تتطلبه الحكمة منه ·

··· أليس ما يكشف عنه « الشورت » التى ترتديه البنت المراهقة اثناء قيامها بالحركات المختلفة فى الهواء الطلق والعراء يذهب بحيائها وخفرها ، وينمى عندها الاحساس بأنه : ليس لبدنها حرمة · وليس فيه موضع سر تحرص عليه ؟

··· وأليس أيضا ما يكشف عنه « الشورت » من أسرار البدن عندئذ كفيل بأن يجعل البدن كله مبتذلا لا لدى الشاب والرجل على السواء ان تعود على رؤية المكشوف من أسرار الجسم ، وان آثار الاغراء والفتنة أول الأمر ؟

... أليس حياء المرأة مطلوبا فى حسن معاشرة الرجل لها ؟

... أليست المرأة هى التى تدفع الثمن عندما تبتذل من الرجل ؟

ان « تبرج » الجاهلية الأولى ليس الا الكشف عما يجب على المرأة ان تستره مما يعد سرا خاصا بها وحدها ، وبها وبرجلها بعد الزواج والدخول بها ٠

ان الحضارة المادية المعاصرة دعت المرأة الى الكشف عن مواضع الاغراء فيها والى تجسدها ، امعانا فى تلهف الرجل عليها ، ولكن ما تكشف عنه حمله على الامعان فى ابتذالها والانصراف عنها ، واصبحت الزوجية مشاركة فى نفقات المعيشة أو مشاركة فى المسكن والاقامة ٠ اما الحياة خارج المنزل فلكل سبيله وفقدت الزوجية بذلك الروح التى تحمل الرجل على طلب المرأة ، واحترامها ، والغيرة عليها ٠

ليس كل ما تدعو اليه الحضارة المادية المعاصرة خيرا للمرأة وخيرا للرجل ٠ والاسلام يوم يدعو المرأة الى الاحتفاظ بخفرها وحيائها ، ويدعو الرجل الى أن يكرم المرأة لحظة يطلبها شريكة له فى حياته الأسرية ، معبرا عن هذا الطلب بما يسمى مهرا ... يوم يجعل من المرأة مطلوبا للرجل على الدوام ، لا تتذلل ولا تتزلف له باقتحام بمال يسره ويحيط شخصه بما تجسم به من ثياب مواضع الاغراء فيها أو بما تكشف من هذه المواضع ٠

ان التربية الحضارية الانسانية هى التى تأخذ فى اعتبارها بعد المرأة عن أن تصبح سلعة تدلل نفسها عليها ، وأخيرا تسلم فيها بابخس الثمن ، وهو الازدراء والمهانة ٠

الماضى ليس شرا كله ، والحاضر ليس خيرا كله ٠ والاسلام ليس رجعية اذ يطلب حياء المرأة والحفاظ عليه ، والمدنية المعاصرة ليست تقدمية اذ تدعو الى ابتذال المرأة وجعلها لعبة يتسلى بها الرجال مرة ويعرضون عنها أخرى ٠

★ ★ ★

١٧٦ ـ ما رأى الدين فى الملابس التى ينبغى للمرأة العاملة أو الطالبة ان ترتديها ، ولا تعوقها عن العمل ، ولا عن الحياة فى هذا العصر ؟

● طابع الحياة بالنسبة للمرأة فى هذا العصر لا يتغير من سنة الى أخرى فحسب ، بل من فصل الى آخر من فصول السنة الواحدة ٠

والتغيير فيما يتصل بملابس المرأة يعود الى فلسفة : « مدى الاغراء والتأثير على الرجل » عن طريق ما تتزين المرأة أو تتزين به فقد يكون الطابع هو من الملابس أو الشعر القصير ، أو القصير جدا ، أو الطويل منها · وقد يكون الألوان الباهتة أو الزاهية فيما تحمل به وجهها · وقد يكون الرموش الصناعية أو ازالة الحواجب وتخليط بديل عنها فى أشكال عديدة فى الاستدارة وقد يكون بجراحة التجميل فى الوجه أو الصدر أو فى مواضع أخرى من البدن · وهكذا ··· وهكذا مما يتصل بقوة (اغراء المرأة للرجل) و (انجذاب الرجل الى المرأة) ·

والعامل المسيطر على ما يطلب الآن للمرأة فى الحياة السياسية والاجتماعية من حرية تكاد تكون مطلقة ، أو ما تطلب هى لنفسها من تحرر كامل غير مشروط أو مقيد هو : أن تفعل بنفسها ما تشاء ، أو ما يشاء لها الرجل الذى يملى عليها خطوط الاغراء باسم « المودة » فتتبعها اتباعا لا انفكاك فيه ، بدت مع هذه المودة منسجمة وجذابة ، أو متنافرة وممسوخة ·

والطالبة فى الجامعة ، والعاملة فى المصنع ، والموظفة فى المكتب فى الحياة المعاصرة لا تعفى نفسها اطلاقا عن طريق انتسابها للجامعة أو عملها فى المصنع أو المكتب من محاولة التأثير على الرجل واغرائه فى صورة ما ، وبأى مدى فى التأثير والاغراء ·

واذن هى فى حركتها لا تبتعد عن عوامل الحياة المعاصرة التى تكيف الجو للمرأة ، فى صلتها بالرجل ، وبجذب انتباهه وشد بصره اليها ·

والدين فى نظرته الى صلة المرأة بالرجل يزدوج الأمر عنده :

(١) ينظر الى المرأة كزوجة فيطلب اليها أن تتزين ولكن لزوجها وحده : « **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن** » (١) · لأن القضية لديه هى قضية (الانسجام) بين الزوجين ، والمحافظة على الرغبة المتبادلة بينهما ، كذكر وانثى ·

ويعنيه اذن فى الدرجة الأولى أن تكون المرأة كزوجة موضع اغراء لزوجها ، ولكن له دون غيره ·

---

(١) النور : ٣١ ·

وهنا الزوجة التى تهمل فى تزيين نفسها ، أو فى تزيين بيتها ، أو فى تزيين أولادها لا تلقى تأييدا من الاسلام ، فضلا عن الترحيب منه :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة » (١) ٠

ونظافة البدن والثياب ــ كنظافة البيت والأولاد ــ عنصر أساسى فى التزين ٠ وكذلك عدم مسخ مخلوقات الله بالتبديل والتغيير عنصر أساسى فيه أيضا ٠

والاسلام اذ ينصح بتزين المرأة لزوجها يعطى أهمية كبيرة أيضا بعد ذلك لجانب السلوك والتهذيب لديها ٠وأبرز مقوم لهذا الجانب السلوكى هو : حرصها على أداء رسالتها كزوجة وكأم ، مما يجعل انتباهها حتما يتركز للزوجية والامومة معا ، دون رغبة جانبية فى محاولة لجذب أنظار الآخرين ، عدا زوجها ، الى فتنتها واغرائها كامرأة وأنثى ٠

(٢) وينظر الاسلام مرة أخرى الى المرأة أيضا كعضو فى مجتمع بشرى ، يراد له أن يكون مجتمعا سليما ، وان تكون هى مشاركة فى سلامته وقوة بنائه مشاركة ايجابية وذات أثر فعال ، على نحو مشاركة الرجل أو أكثر ٠ وفى الوقت نفسه يريد لها أن لا تلهو بنفسها وتستخف بقيمتها ، فتتخذ من ذاتها سلعة للعرض والاغراء ، يحركها ريح الهوى من أى جانب يأتى ، ويخدعها الثناء الكاذب من عابر سبيل أو شاخص متربص ٠

ولضمان مشاركتها الايجابية والبناءة فى قوة المجتمع وسلامته يطلب الاسلام اليها أن لا تقصد الى الوقوف بنظرها عند الرجال الأجانب عنها اذا مرت بهم ، أو كانت لها حاجة لديهم تدفعها الضرورة الى قضائها منهم ٠ على نحو ما يطلب من الرجل ازاء النساء الأجنبيات عنه ٠

وهذا ما يذكره أمر القرآن فى قوله تعالى : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »** (٢) ٠ وفى قوله **« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن »** (٣) ٠ وغض البصر تعبير مهذب عن أخذ النفس بعيدا عن الاسترسال أو الالحاح فى تركيز البصر على الطرف الآخر لاشباع شهوة أو لاثارة ميل غير عادى عنده ٠

---

(١) الأعراف : ٣٢ ٠
(٢) النور : ٣٠ ٠
(٣) النور : ٣١ ٠

واذا طلب القرآن فى آداب المجتمع الاسلامى « غض البصر » من جانب الرجل وجانب المرأة على السواء على معنى : عدم الالحاح فى تركيز النظر على الطرف الآخر لاشباع شهوة أو لاثارة ميل غير عادى لديه ـ محافظة على ايجابية المشاركة فى بنائه وفى قوته ... فان الاسلام لا يرضى اطلاقا عن أن تقصد المرأة بما تفعله فى ملابسها ، وفيما تسميه بتجميل الوجه والشعر ، بغية اثارة الرجل الأجنبى عنها ومن غير محارمها أو شد بصره الى مواضع الفتنة والاغراء فيها . لأن ما تفعله عندئذ هو « التبرج » الذى نهى عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (١) .

والجاهلية الأولى ليست زمنا معينا فى تاريخ المجتمع البشرى . وانما هى سمات المرحلة السابقة على حضارة المجتمع فى أى وقت وفى أى قرن .

وحضارة المجتمع الانسانى لا تقاس بالتقدم الآلى والميكانيكى والعلمى وحده . وانما أساس مقياسه هو التقدم فى مستوى الانسانية فى السلوك والتهذيب والمعاملة والتعاون والتواد فى علاقات الأفراد بعضهم مع بعض .

وما يراه الاسلام من رأى فى « تزين » المرأة » و « تبرجها » ـ اذ يحل الأول لها بالنسبة لزوجها ويحرم الآخر عليها بالنسبة لغير محارمها ـ هو من سمات الحضارة الانسانية ، وليس من سمات الجاهلية السابقة عليها .

وطالما الحياة المعاصرة تعنى بعوامل الاغراء الجنسى أكثر من عنايتها بالسمو الانسانى ، فهى لا تخلوا من سمات الجاهلية والبعد عن المستوى الحضارى . الانسانى فى أخص معانيه . ويبقى للاسلام بعد ذلك رأيه الحضارى . وللحياة المعاصرة سمة التخلف فى المستوى الانسانى فى هذا الجانب .

* * *

١٧٧ ـ اننى طالبة باحدى الجامعات وأريد ارتداء الزى الاسلامى الذى يستر جميع البدن . ولكن والدى يمنعنى ، ويقول : ان الملابس الطويلة تدل على التاخر . فما رأى الدين ؟ .

● انك مؤمنة بالله ـ طبعا ـ وبمبادىء دينه . ومن أهم هذه المبادىء احترام المرأة نفسها وعدم تعريض بدنها بالكشف عن مفاتنه للنظرة الجارحة

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

أو للهمسة الساخرة ، أو الدخول فى منافسة لا تكسب منها من تنجح ، وتذل فيها من تخفق ٠

ولا عليك اطلاقا اذا تمسكت بما تؤمن به ، وان خالفت ما يسمى « بالمودة » ٠ وأعتقد أن الوالد اذ يقول لك فى هذا المجال : ان الملابس الطويلة تدل على التأخر ، يعنى فقط عدم تعرضك لسخرية بعض الزميلات أو الزملاء ٠ ولكن الانسان الذى يسخر من شابة تحافظ على حيائها وخفر انوثتها ، وعدم تعرضها للسقوط فى متاهات « المودة » وأخيرا على تحقيق هدفها من الجامعة وهو الدراسة والتحصيل ، وليس العرض لأزياء « المانيكان » وتوزيع الاغراء ٠ هذا الانسان لا يبالى بنظرته فى الحياة ٠ لانه يقف بزده النظرة عند السطح والتافه الذى لا يجدى ٠

ان الانسان بايمانه بالمبادىء الانسانية الكريمة – وهى مبادىء الاسلام – وبتطبيق هذه المبادىء فى حياته وعلى من شأن نفسه أمام الآخرين الذين يسقطون فى « دنيا المتع » لأنه يحافظ على كرامة نفسه ٠ وكرامة الانسان – أى انسان – لا ترهب له من غيره ، وانما تستخلص بذاته ٠ وليس من السهل استخلاصها الا لصاحب عزم وايمان بالله ٠

وقد كان على مشهد منى فى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٣١ فى مدينة برلين بألمانيا منظر « لثلاثة طلاب مصريين سكنوا ثلاثتهم فى « بنسيون » اثر قدومهم من القاهرة للدراسة ، كانت تملكه سيدة ألمانية اقامت بحلوان هنا ما يزيد على العشرين عاما ، وتعرف العادات المصرية ٠

كان أحد الثلاثة المصريين متخرجا فى الأزهر ، وكان الاثنان الآخران ممن حصلوا على درجة الهندسة ٠ وسبقاه الاثنان فى القدوم الى برلين والنزول فى هذا « المنزل » بمدة أسبوع ٠ وشارك كل منهما بقية النزلاء من الألمان فيما يقدم لهم من طعام لحم الخنزير وشراب البيرة ٠ وكان كل منهما يرى فى هذه المشاركة « تجديدا » وتقدما ٠٠ وكان كل منهما كذلك سعيدا بهذه المشاركة ٠

فلما حضر ثالثهم – وهو الأزهرى – ونزل معهم ذكر لصاحبة « النزل » انه لا يأكل لحم الخنزير ولا يتناول مشروبا روحيا وانه يرجو أن يقدم له من الطعام ما يخلو مما حرمه الاسلام ٠ واستجابت صاحبة النزل – وكانت تتكلم العربية فى صورة تفهم ٠

وكان النزلاء فى النزل جميعا يجتمعون على مائدة العشاء ، وكان

واضحا أن الطعام الذى يقدم للطالب الأزهرى يختلف فى نوعه وطهيه عما يقدم للآخرين كلهم ٠

وفى مساء اليوم الثالث من قدوم هذا الطالب سأل أحد الطالبين المصريين الآخرين صاحبة « النزل » فى صوت ينطوى على الاحتجاج : لماذا ينفرد هذا الزميل الجديد بطعام فوق مستوى الطعام الذى يعرض ، ولا يقدم لهما كذلك ، مع أنهما من مصر ؟ ٠

وكان جواب السيدة / صاحبة البنسيون ينطوى أيضا على مفاجأة لهما ، اذ قالت : ان هذا زميلكم الجديد احتفظ بكرامة نفسه لأنه تمسك بعادات بلده وتقاليدها فى الطعام فكان واجبا على أن أكرمه ٠ أما أنتما فقد حاولتما أن تكونا كبقية الألمان هنا ، وبذلك اندمجتما فيهم وضاعت شخصيتكما ، فلا ميزة لكما عندى ٠

انها سنة الطبيعة البشرية أن يحترم صاحب المبدأ ويوقر لمبدئه ، وأن الذى لا يملك المبدأ يتزلف لمن يملكه ليحفظ به توازن نفسه ، ويكمل به نقص عدم الثبات على المبدأ ٠ فسيرى على بركة الله فيما تؤمنين به والله لا يشقيك بما تلبسين من زى يحفظ عليك مفاتن بدنك ٠ وانما سيكرمك على الآخرين ٠

★★★

١٧٨ ـ فتاة تقول : عمرى عشرون عاما ، ونشأت فى بيت متدين وحفظت القرآن ، وكان ابى يريد لى : ان اكون مثالا للفتاة المتدينة والقدوة : ولم أجرب الحب ، ولم أرض عنه ٠

غير أن زميلات لى حاولن اقناعى بالحب ، وقلن لى : أنت شيخة ، ودائمة معقدة للأمور ٠ فما الحكم ؟

● ان التيارات الجارفة التى ترد عبر الصور التليفزيونية ، أو المجلات المصورة ، من المجتمعات التى تقدمت فى الصناعة والتيكنولوجيا المعاصرة ، وتنقل صور للحياة الفوضوية فى هذه المجتمعات ، وما تعبر به عن حرية المرأة ومدى تقدم حركة تحريرها ٠٠ ان هذه التيارات لم تترك مجتمعا فى العالم الا واقتحمت عليه بصر الأفراد فيه بالقراءة ، وسمعهم عن طريق رواية الخبر واشاعته ٠

وكل مجتمع من المجتمعات المعاصرة اليوم ملىء بالمتناقضات والأضداد ، ومزدحم بالصور التى تحاول أن تطغى على ما للمجتمع من تقاليد · بل تحاول أن تصور هذه التقاليد : بالتى عفى عليها الزمن ، وانتهى اعتبارها ، كما انتهى اعتبار الدين فى حياة اليوم ، قبل حياة الغد · والصراع العالمى بين الأيديولوجيات المختلفة والمتناقضة شد أنظار رجال السياسة وقادة المجتمعات اليه ، وشغل من نشاطهم ما يجعلهم غير قادرين على عمل شىء ما ، للمحافظة على تقاليد المجتمع ودينه ، ولغته ، وعاداته · وتلك هى التى تكون عناصر الشخصية المستقلة لأى مجتمع بشرى فى الحياة الانسانية العالمية ·

● فزميلاتك اللائى ينصحنك بالحب ، وبتجربته ، تأثرن فى هذه النصيحة بما يقرأن فى روايات الحب ، أو بما يرونه فى المجلات المصورة ، أو يشاهدونه على شاشة التليفزيون ، أو يسمعنه من أخبار من هنا ومن هناك ، عن مدى حرية المرأة ، وعن الحب والتجربة قبل الزواج ·· الى غير ذلك من موضوعات الجنس ·

ولكن فى واقع الأمر ما تأتى به حياة المجتمعات الصناعية الى مجتمعاتنا فى الشرق الاسلامى ليس كله نماذج يقتدى بها · وانما معظم ما يأتى من هناك فى ما يتصل بالمرأة وعلاقتها بالرجل ، ان عبر عن الازدهار الاقتصادى ، أو التفكك فى الروابط والملل من الحياة ، فانه يعبر عن محاولة التخلص من تقاليد الأسرة فى الزواج هناك .

فالتجربة الجنسية قبل الزواج ، فى فترة ما قبل الخطبة أو فى فترة ما بعدها ، الى ليلة الزفاف ·· تعبر عن الخوف من رباط الزوجية ، الذى لا ينفصم أبدا ، واذا انفصم بتدخل القضاء فلأسباب يشق توفيرها ، وقد يتخذ الزنا على مشهد من الشهود سببا للطلاق · ولكن فى حياتنا الاسلامية لا يشق الطلاق على الرجل ، ولا يشق الخلع على المرأة ، أن تضرر أحدهما ، دون الآخر بالمباشرة الزوجية ·

والزواج الجماعى وتبادل الزوجات والمعاشرة الجنسية المستمرة غير المشروعة فى سرية أو فى علم للطرفين ·· وما شاكل ذلك ، كل هذا يعبر عن التخلص من الزواج بواحدة ، يشق تطليقها ، أو يستحيل الانفصام عنها · ولكن الاسلام فى مجتمعاتنا الاسلامية اذ يجيز الزواج باكثر من واحدة ـ ولكنه لا يوجبه ولا يفرضه ـ بشروط خاصة ، لا يجعل الرجل المتزوج فى حاجة الى الأخذ بفكرة الزواج الجماعى ، أو بتبنى تبادل الزوجات ، أو يحمل على الاقدام على المعاشرة الجنسية المستمرة غير المشروعة ·

● واذن : المرأة المسلمة ، والرجل المسلم ، كل منهما ليس فى حـاجة الى حب ، بالمعنى المستورد من المجتمعات الصناعية · وبالتالى ليس فى حاجة الى اللهو والعبث بالآخر ، مما يفسد على كل منهما حياته المقبلة ، لو دخل فى زواج شرعى ·

ان حياة المجتمعات الصناعية المعاصرة حياة انطـلاق ، بعـد ترف فى المعيشة والمتعة ، على حساب ما حصلته واغتصبته ـ فى كره أو فى رضـا صورى ـ من المجتمعات النامية ، من مصادر الثروة القومية والبشرية لديها ·

أما مجتمعاتنا الناهضة فهى الآن فى مرحلة بعيدة عن الترف ، وفسـاد المترفين · انها مرحلة بناء ، وكد فى العمل وجهد فى السعى فى الحياة ·

والأفضل للسـائلة أن تبقى على احتيـاطها فيمـا يسمى بالحب ، وتقف بنفسها عند الكرامة الانسانية وعفاف المرأة ، وحيائها · فهذه هى مصـدر قيمتها فى الحياة · وهذا هو ما يريد الايمان بالاسلام أن يقدمه للمرأة ·

* * *

١٧٩ ـ انى متخرجة من كلية الفنون التطبيقية هذا العام ، وكل متخـرجة تبحث عن عمل لهـا · والاختـلاط بين الجنسين سـائد فى ميادين العمـل ·

فهل العمـل حرام ؟ ·

وهل ارتكبت حرمة بتعلمى حيث يوجد الاختلاط ؟ ، مع ملاحظة انى متمسكة بالملابس الحشمة ·

● نسأل الآن :

هل معنى « الاختلاط » بين الجنسيين وجود الذكور والاناث فى محيط عمل عام واحد ، كل يؤدى واجبه فى رعاية فقط لأداء الواجب والعمل ؟

أم معناه وجود فرصة متاحة فى اجتمـاع خاص لتبـادل النظرات بين الذكور والاناث ، وتبادل الحـديث وعبارات الاعجـاب والثناء ، ثم اللقـاء والمداعبـة ؟

ان أى عمل يأتى به الانسان ـ ذكرا أم أنثى ـ فى مجال الواجب العام ، أو فى مجال الحياة الجادة ، أو فى مجال ضرورات كسب العيش فى الوظائف الرسمية ، سواء فى مواجهة الذكور للاناث والاناث للذكور ، أو فى انفراد كل نوع على حدة ، هو عمل من شأنه أن لا ينطوى على اساءة لأحد · وهو بذلك مشروع ·

فالاختلاط هنا فى هذا المجال ـ أى تواجد الجنسين على هذا النحو ـ ليس فى العادة مصدر عبث أو اساءة أو فساد · والمشارك فى هذا التواجد من النوعين لا اثم عليه ، طالما هو يمسك عن العبث والاثارة · والتواجد اذن فى ذاته بين الذكر والأنثى فى مكان عام لا يحرم شرعا ، الا اذا أدى الى فساد أو ضرر لأحد · والمشارك فى هذا التواجد من الصنفين لا تثريب عليه ، ما دام لم يسىء بالفعل الى نفسه أو الى غيره ، أو يضمر الاساءة لأحد سواه ·

ولكن الاختلاط بمعنى الفرصة الخاصة المتاحة لغير العمل الجدى ، ولهدف الحصول على متعة مؤقتة عن طريق التحادث أو تبادل النظرات وعبارات المديح ، فانه غير مأمون العاقبة · أى انه قد يكون سبيلا للأذى لأى من الجانبين · وقد يكون أذى أكبر من أن يتحمله الفتى أو الفتاة · ولذا فهو مظنة الضرر ، وما كان مظنون الضرر أولى تجنبه · ومباشرته بما ينطوى عليه من خطر ـ ولو مظنونا ـ غير مباح ·

والاسلام لا يساير ما يأتى به الزمن فى وقت من الأوقات من اتجاه يدعى له : أنه « اتجاه عصرى » فى علاقة الرجل بالمرأة ، أو بما تتخذه المرأة من موقف فى سلوكها نحو الرجل ، يوصف مثلا بأنه موقف تحررى ·· الاسلام لا يساير هذا ولا ذاك ، لأن ما يراه الاسلام نفسه مرتبط بنظرة معينة : هى المحافظة على كرامة المرأة وأمنها ، وعلى جدية الأمر فى علاقة الرجل بها ، ومسئوليته فيها مسئولية واضحة ·

فاذا ارتضت المرأة لنفسها أن تتنازل عن هذه النظرة فى علاقتها بالرجل وتبيح لها ما حرمه الاسلام عليها ، فلا تكيل الآن للاسلام اللوم ، وتلقى عليه التهم جزافا · وانما تأخذ سبيلها التى ارتضته ، وتترك الاسلام لشأنه : « **يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان** » (١) ·

● فاذا شاركت السائلة الآن من أجل كسب العيش فى مجال عمل عام ،

---

(١) الحجرات : ١٧ ·

أو فى دراسة مفتوحة من أجل تحصيل التعليم فهى لا ترتكب ذنبا · وبالأخص انها أبعدت عنها كونها مصدرا لاثارة الرجل واغرائه بمفاتنها ، لأنهـا ـ كما تذكر ـ ليست متبرجة بملابسها ولا بزينتهـا ·

الاسلام ينصح المرأة بالتزين والتجميل لزوجها وداخل بيتها ، ولـكن ليس للتبرج خارج منزلها فى الطرق العامة · الاسلام يتيح للمرأة أن تتعرف الحياة وأن تتعلم لتكون كاملة النضج فى حكمها وفى أمومتها وفى زيجتها ، ولكن ليس لتوزع نفسها على الآخرين · الاسلام يريد أن تكون لهـا حـرمة فى خصوصيتها ، ولا يريد لها أن تكون شائعة عديمة الحرمة ·

وتغير الزمان أو تغير الاتجاهات فى حياة الانسان تحت التأثر بعوامل معينة لا يحكم على الاسلام · وانما سيظل هو يحكم عليها لأنه من الله ، وماعداه فهو من الانسان المتردد والمتقلب ·

★ ★ ★

١٨٠ ـ اننى طـالبة بكلية الطب وأؤدى فرائض الله · ولكنى ألبس الملابس القصـيرة فـوق الركبة وليس على رأسى غطـاء ، وذلك مجـاراة « للموضة » فى المجتمع · ولكنى ألبس جوربا ثقيلا · فهل يغنى عن الملابس الطويلة ؟

● الجورب الثقيل اذا كان محدد للجسم فهو كاشف عن سماته ومبرز لمفاتنه · وهو بذلك لا يغنى عن الملابس التى تستره · والجورب الثقيل اليـوم مع الملابس القصيرة جدا فوق الركبة هو من « موضة » الازيـاء ، كالسروال الملاصق للبدن سواء ، قصد بكل منهما ابراز ما يغرى فى جسم المرأة ، ممـا يثير الرجل فى علاقته بها ·

وفرائض الله التى شرعت من صـلاة ، وزكاة ، وصـوم هى لاعـداد الانسان بحيث لا يقع تحت تاثير الاتجاه المادى · وهو ذلك الاتجاه الـذى يخضع الانسان لشهوته وهواه والتع المادية وحدها فى الحياة ·· هى لتوجيه الفرد بحيث يعيش انسانا محتفظا بكرامته الانسانية وبقيمه العليا فى الحيـاة التى تمثل الانسانية خير تمثيل ·

واذا كانت الصلاة هى لتذكير المصلى بربه فى الوجود ، كى يحول تذكره لله دون الاستغراق فى الحياة المادية ، فالصوم هو للامساك وللحرمان مما هو متع وملذات مادية · وليس الصوم هو امساكا عن اغراء ما يؤكل أو يشرب فقط · وانمـا هو كذلك امسـاك عما يغـرى فى لغو الحـديث أو الخوض فى

أعراض الناس أو فى اتباع ازياء الموضة للمرأة · والزكاة قصد بها تعلم العطاء للآخرين ، والحد من الأنانية فى الاقتناء والادخار ، حتى لا يقع الانسان تحت اغراء المال وفتنته ، فيعبده وينسى نفسه والآخرين معه فى اسرته ومجتمعه ·

ومن هنا نرى : أن أداء فروض العبادة فى الاسلام ليس أداء شكل ومظهر · وانما هو أداء التزام بسلوك معين أو بموقف معين · فى الحياة وبتفكير معين ·

والمسلم الذى يجمع بين النقيضين فى سلوكه : يصلى ، ثم يقتل ، أو يزنى ، أو يسرق ، ويصوم رمضان ثم يلغوا فى أعراض الناس بالباطل ويسىء بالوشاية للآخرين ، ويمعن فى انتهاك حرمته الانسانية ·· فيعرض نفسه فى سوق السلع البشرية « اللى ما يشترى يتفرج » باسم المودة واحدث الأزياء ، ويزكى ثم يعوض زكاته من مال اليتم وأكل أموال الناس بالباطل ··· هذا المسلم يقف عند شهادة : لا اله الا الله ، ولم يدخل بعد مجال التطبيق العملى للايمان بالله وبرسالة الاسلام ·

الاسلام هو التزام بخط معين فى التفكير ، وفى السلوك ، وفى العمل · هو خط الاستقامة أو خط الانسانية · والالتزام بهذا الخط لا يفرضه أحد على أحد · وانما تفرضه مشيئة من آمن باختياره · فلا اكراه فى الدين · ولكن يوم يدخل الانسان بارادته يلزم نفسه بمبادئه ، ويصبح مسئولا عن تنفيذها أمام الله وحده · والانسان يوم يؤمن بالله ويؤدى أمانة الايمان يخدم نفسه وليس أحد سواه : « يمنون عليك أن أسلموا ، قل : لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين » (١) ·

* * *

١٨١ ـ لى خمسة من الاخوة فى مراكز محترمة ، ولى اختان معهم · ووالدتى شديدة القسوة علينا نحن البنات ، وبالخصوص أنا · تزوجت المرة الأولى ، وتسببت هى فى طلاقى · وتبالغ فى ايذائى وتشويه صورتى عند الناس ، رغم أنى لا أقصر أبدا فى خدمتها وخدمة أبى · ورغم هذا فهى تسومنى سوء العذاب ، تاركة اخوتى الرجال يتمتعون بمرتباتهم وتحرمنى من مرتبى · وأخيرا تزوجت مرة أخرى وبعدت عنها كل البعد ، مقاطعة اياها · فهل هذا حرام ؟

● يبدو أن الوالدة فى معاملتها اياك على هذا النحو مما تصفينه :

---

(١) الحجرات : ١٧ ·

« بالقسوة وسوء العذاب » هو تعبير منها عن حرصها الشديد عليك وعلى مصلحتك الخاصة · والتفاتها اليك بالذات يدل على انها ترى فيك بعض « النزق » أو « الهوج » فى التصرف ، مما يسميه بعض الناس « خفة » ، أو « طيشا » · فهى تريد أن تكون بجانبك حتى تلتزمى طريقا فى الحياة يجعلك زوجة ذات كرامة يحترمها زوجها قبل أن يحترمها الآخرون · وهذا الطريق هو طريق : التؤدة » وعدم التسرع فى القبول أو الرفض أو الحكم على الشىء ، على العموم ·

وليس لديها كأم أى باعث آخر يحملها فى بعض الأحيان على أن تقسو عليك سوى الحرص على مصلحتك · وفشل زواجك فى المرة الأولى لا يعود الى والدتك وحدها · وانما القسط الوفير فى أسبابه يعود عليك بسبب تصرفك · ليست هناك أم ــ الا اذا كانت مجنونة أو شديدة الحمق ــ تسعى فى طلاق ابنتها وهى مستقرة وسعيدة فى زواجها · وانما قد يحصل أن يمتهن الزوج عديم الضمير زوجته بالفاظ القول لها ، و باساءة معاملتها ، أو بتحديها بعلاقة جديدة مع امراة اخرى جهارا ، مستغلا مرتبها او مالها فى انفاقه على شئون المنزل ، ومستغلا كذلك علاقتها به وارتباطها ارتباطا شديدا بشخصه ، رغم ما تلقاه منه من عنت وسوء معاملة · فهى فى هذا الوضع تنفق على منزله وفى الوقت نفسه تمتهن فى كرامتها كانسان ، وكامراة · وليست هذا حياة زوجية · انما هى حياة الرقيق الأبيض ·

فاذا أنت تزوجت الآن للمرة الثانية فلمصلحتك أنت أيضا أن تكونى على اتصال بأسرتك وبالأخص والدتك · فان الأم ــ كما يقال ــ سر ابنتها · أى هى الأمينة على سرها · ومهما كانت هناك من أسرار بينك وبين زوجك فان أمك لها مكان فى أسرارك لا يشغله سواها ·

ومقاطعتك اياها لا تجديك نفعا · ثم هذه المقاطعة من جهة أخرى اجحاف بالرعاية المفروضة للوالدين من أولادهما · فاذا كان قد جاء فى القرآن قوله تعالى : « ··· فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما · واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب : ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (١) ··· فينهى عن جرح احساس الوالدين بكلمة : « أف » أو بالاغلاظ لهما فى القول ، ويأمر بالقول المهذب الكريم فى محادثتهما ، وبالطاعة ، والدعاء لهما بالرحمة ··· اذا كان قد جاء فى القرآن هذا فان

---

(١) الاسراء : ٢٣ ــ ٢٤ ·

مقاطعة الوالدين من أعنف ما يوجه اليهما من لوم معنوى ، وأشـد ما يكون فى معاملتهما والتنكر لفضلهما وجميلهما ٠

على السائلة أن تغير تصورها عن الماضى فى المعاملة ، وأن تبتـدىء تفهم والدتها من زاوية : أنها كانت حدبة عليها وراعية لمصلحتها ، ولم تضمر لها اساءة ما ٠ فاذا تغير هـذا التصور عـادت الميـاه الى مجاريها وكانت الصلة بدل المقاطعة والتودد بدل الجفوة ٠

★ ★ ★

١٨٢ ـ أمتلك منزل وأؤجره مفروشا الى بعض الطلبة والموظفين ٠ وقد لاحظت أن بعض السكان يحضرون فى مساكنهم بعض النساء ٠ فهل الايجار الذى أتسلمه منهم حلال أم حرام ؟ وخصوصا أنا أدخر جزءا منـه لأداء فريضة الحج ٠

● اذا كان السائل يعلم مقدما عنـد توقيع عقـد الايجار أن المستأجر سيستغل السكن لاستقدام بعض النساء عنده فى سكنه ، فهو معين له عـلى ارتكاب المنكر ٠ ومال الايجار الذى يأخذه منه مال حرام ، لا يجوز أداء فريضة الحج منه ٠ وان علم بعد توقيع العقـد أن بعضا ممن استأجروا هذه المساكن المفروشة من الطلاب أو الموظفين يباشر ارتكاب الموبقات فيما تخصص به من مسكن فان للسائل عندئذ أن يفسخ العقد ويخلى المسكن من هـذا البعض ٠ فان المساكن المفروشة يجوز اخلاؤها بحكم القانون بناء على طلب المؤجر ٠ وما أخذه من ايجار فى غيبة علمه بارتكاب المنكر لا وزر فيه عليه ويجوز أداء الحج منه ٠

ولا يكتفى للسائل ـ وهو صاحب الملك المفروش ـ أن ينكر هذا المنكر بلسانه أو بقلبه ، كأن ينبه على الساكن مثلا بعدم احضار أحد من النسـاء عنده ويحذره ، أو أن يسكت غاضا النظر ، فى غضب نفسى من هذا التصرف ٠ لأنه يملك أن ينكره بيده فينذره بالاخلاء : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » ٠

وهذا المنكر الذى يمارسه بعض الطلاب أو الموظفين الشبان على نحو ما يذكر السائل لا ينبغى له أن ينتشر فى مجتمعاتنا فيصبح مرضا اجتماعيا فيها يهدد كل نشاط جدى وكل موقف يتطلب التضحية ، بخطر « اللامبالاة » وعدم الشعور بالمسئولية أمامه ٠

ان مجتمعاتنا مجتمعات ناهضة · أى انها كانت ضعيفة فأخذت تسعى نحو القوة · وهى قوة العزيمة والارادة ، قبل قوة البدن والعضلات والانتاج · فاذا أصيبت بهذا المرض الوبائى ، وهو مرض التحلل من القيم العليا ·· مرض انتشار جريمة الفحشاء وتناول السكر ، يكون خروجها من الضعف الماضى أمرا مشكوكا فيه ، بل ربما يزداد ضعفها ووهنها ·

ومن يساعد الشباب من الطلاب أو الموظفين على الاستمرار فى الضعف لا يجنى فحسب على المجموعة منهم التى تباشر المنكر بالطريقة التى يتحدث عنها السائل ، وانما يجنى على الأمة ككل ·

والمجتمعات الأخرى التى أصيبت بلوثة هذا المرض الاجتماعى هى مجتمعات اتخمت من استغلال الشعوب الأخرى ولها رصيد حتى الآن من الغنى المادى والقوة المادية ، يؤخر انهيارها الى حين · ولذا لا يبدو عليها الضعف ، وان أخذ يدب فى شرايين الحياة فيها · وهى فى طريقها الى هذا الانهيار ، لأنها تؤمن « بالمادية » وحدها · والمادية هى شر ما يبتلى به المجتمع البشرى : « **واذا أردنا ان نهلك قرية** (أى مجتمعا) **أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا** » (١) ·

وما يتعلل به بعض الاجتماعيين مما يسمى « بالكبت الجنسى بين الشباب » فليس الا تعلقا بما بقى من تفكير « فرويد » : العالم اليهودى النمساوى · وهو تفكير لا يردده الا الملتزمون من الماديين بتفكير القرن التاسع عشر ·

والشباب فى مجتمعاتنا أمامه مهمات ورسالات وطنية ، لا تدع له وقتا لمجاراته شباب المجتمعات الأخرى فى فسقها ومفاسدها ·

★ ★ ★

---

(١) الاسراء : ١٦ ·

محتويات الكتاب

الجـزء الثـانى

الموضـــوع	رقم الصفحة من	الى
الفصل الأول : فى محيط التقاليد	٣	٧٣
الفصل الثانى : فى محيط العمل ـ والمال	٧٥	١٠٢
الفصل الثالث : فى العلاقات بين الأفراد	١٠٣	١١٥
الفصل الرابع : فى شئون الحضارة المعاصرة	١١٧	١٤٨

رقم الايداع ٣٧٩٩ ـ ٧٩
الترقيم الدولى ٥ ـ ٧٣١٧ ـ ٩٧٧

obeikandl.com

كتب للمؤلف

	طبعة
١ ـ الجانب الالهى من التفكير الاسلامى	خامسة
٢ ـ الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى	خامسة
٣ ـ الفكر الاسلامى فى تطوره	أولى
٤ ـ الفكر الاسلامى المعاصر ـ مشكلات الأسرة والتكافل	ثانية
٥ ـ الفكر الاسلامى المعاصر ـ مشكلات الحكم والتوجيه	أولى
٦ ـ الدين والحضارة الانسانية	ثانية
٧ ـ الاسلام فى حياة المسلم	أولى
٨ ـ الدين والدولة ـ من توجيه القرآن الكريم	أولى
٩ ـ راى الدين بين السائل والمجيب ـ جزء ١	أولى
١٠ـ خمس رسائل للشباب المسلم المعاصر	أولى
١١ـ تهافت الفكر المادى التاريخى	قولى
١٢ـ الاسلام فى الواقع الايديولوجى المعاصر	أولى
١٣ـ طبقية المجتمع الأوربى وانعكاس آثارها على المجتمع الاسلامى المعاصر	أولى
١٤ـ تفسير سورة الأعراف	أولى
١٥ـ تفسير سورة الجن	أولى
١٦ـ تفسير سورة الصافات	أولى
١٧ـ الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة	أولى
١٨ـ من مفاهيم القرآن الكريم ـ فى العقيدة والشريعة	أولى

تحت الطبع :

١ ـ منهج القرآن فى تطوير المجتمع
٢ ـ تفسير سورة الأنعام
٣ ـ تفسير سورة النحل
٤ ـ تفسير سورة الشعراء
٥ ـ تفسير سورة المؤمنون
٦ ـ تفسير سورة يونس
٧ ـ نحو .. القرآن
٨ ـ غيوم تحجب الاسلام
٩ ـ عالمية الثقافة فى القرن السادس الهجرى

obeikandl.com